



الكرسي الرسولي

سيسنرف ابابل اءسادق

ءماعلا ءلباقملا

مئلعت

ءخوخللا ف

2022 ولام/رامأ 25 ءاعبالا

سرطب سلءقلا ءحاس

ءالءل رومأونءملا ف ءضماعلا ءلللا :ءعمالءل 11.

[Multimedia]

أبها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

ففي تأملنا في موضوع الشيخوخة، نلتقي اليوم مع سفر الجامعة، وهو جوهرة أخرى نجدها في الكتاب المقدّس. في قراءتنا الأولى لهذا السفر القصير، نشعر بالذهول والحيرة من الرّدة الشّهيرة: "كُلُّ شَيْءٍ باطل"، "كُلُّ شَيْءٍ ضباب"، "دخان"، "فراغ". من المدهش أن نجد هذه التعابير في الكتاب المقدّس، التي تضع معنى الوجود في موضع الشكّ. في الواقع، إنّ قلب سفر الجامعة المستمرّ بين المعنى واللامعنى، هو التّمثيل السّاخر لمعرفة الحياة التي تنفصل عن حبّ اليرّ والصّلاح، وصلاح الله هو الضامن لهذا اليرّ. وتشير خاتمة السّفر إلى طريق الخروج من المحنة والشّدّة: "إنّق الله واحفظ وصاياه فإنّ هذا هو الإنسان كلّهُ" (12، 13). هذه هي النصيحة لحلّ هذه المشكلة.

أمام هذا الواقع الذي يبدو لنا، في لحظات معيّنة، أنّه يجمع بين جميع الأضداد، ويقول إنّ لها المصير نفسه، وهو أنّ تنتهي في اللّاشيء، يمكن أن تظهر لنا أيضًا أنّ طريق اللامبالاة هي الحلّ الوحيد لخيبة أمل مؤلمة. وتنشأ فينا أسئلة مثل هذه، وهي: هل غيّرت جهودنا العالم؟ وهل يستطيع أحد أن يؤكّد ما الفرق بين الصّحّ والخطأ؟ يبدو أنّ كلّ هذا عديم الجدوى: لماذا نبذل جهدًا كثيرًا؟

إنّ نوع من الإحساس السلبي الذي يمكن أن يظهر في أيّ وقت من الحياة، ولا شكّ في أنّ الشيخوخة تجعل اللقاء

هذا الإحباط ينزع منّا الرّغبة في العمل. "فالحقيقة" المزعومة، التي تكتفي بأن تسجّل ما في العالم فقط، تسجّل أيضاً لامبالاتها بالأضداد وتسلّمها، من دون فداء، لمرور الوقت ومصير العدم. في هيئتها هذه - ملتحفة بالعلم، لكنّها أيضاً غاية في عدم الحساسية والأخلاقيّة - فإنّ البحث الحديث عن الحقيقة حاول أن يتخلّى تماماً عن حبّ اليرّ والصّلاح. لم يعد يؤمن بمصيره، وبوعده، وبغداؤه.

بالنسبة لثقافتنا الحديثة، التي تريد أن تشمل كلّ شيء عملياً في معرفة دقيقة للأمور، فإنّ ظهور هذا الموقف السّاحر الجديد - الذي هو معرفة شاملة وعدم مسؤوليّة - وجد ردّ فعل عنيف جدّاً. في الواقع، تبدو المعرفة التي تبعدنا عن الأخلاق في البداية مصدرّاً للحرية والطّاقة، لكنّها سرعان ما تتحوّل إلى شللٍ للروح.

كشف سفر الجامعة، بسخريته، عن هذه التجربة القاتلة لقدرة المعرفة المطلقة - إنّها "وهم العلم المطلق" - الذي يولّد عجزاً في الإرادة. كان الرهبان في التقاليد المسيحيّة القديمة جدّاً، قد حدّدوا بدقّة مرض الروح هذا، الذي اكتشف فجأةً غرور المعرفة، من دون إيمان ومن دون أخلاق، ووهم الحقيقة من دون برّ وصلاح. أطلقوا عليه اسم "الكسل". وهذا الكسل هو إحدى تجارب الجميع، حتى للمسنيين، لكنّه يخص الجميع. وهو ليس مجرد كسل: لا، بل أكثر. وليس مجرد اكتئاب: لا، بل، هو الاستسلام لمعرفة العالم، من دون المزيد من حبّ اليرّ والصّلاح، والعمل المتربّب عليه.

إنّ فراغ المعنى والقوّة الذي تؤدي إليه هذه المعرفة، التي ترفض كلّ مسؤوليّة أخلاقيّة وكلّ شعور من أجل الخير الحقيقي، ليس بريئاً. إنّها لا يجرّد الإنسان فقط من القوّة لإرادة الخير، بل يحدث أيضاً ردّة فعل تفتح الباب لعدوانيّة قوى الشرّ. إنّها قوى العقل المجنون، الذي جعلته الإيديولوجيا المفترطة ساخرًا. في الواقع، مع كلّ تقدّمنا ومع كلّ رفاهيّتنا، أصبحنا حقاً "مجتمع التعب". فكروا قليلاً في هذا: نحن مجتمع التعب! كان علينا أن ننتج رفاهيّة على نطاق واسع، وها نحن نرضى بسوق انتقائيّ علميٍّ للصحة. كان علينا أن نضع حدّاً للسلام لا يمكن تجاوزه، وها نحن نشهد الحروب الوحشيّة تتابع ضدّ الأشخاص العزل. العلم يتقدّم، بالطّبع، وهذا جيّد. لكن حكمة الحياة، هذا أمرٌ مختلفٌ تماماً، ويبدو أنّها في طريق مسدود.

أخيراً، هذا العقل الذي لا شعور فيه ولا مسؤوليّة ينزع المعنى والطّاقة من معرفة الحقيقة أيضاً. ليس صدفة أن يكون وقتنا هو وقت الأخبار الكاذبة، والخرافات الجماعيّة والحقائق العلميّة الزائفة. يمكن للشيوخوخة أن تتعلّم من حكمة سفر الجامعة السّاحر، فنّ تسليط الضّوء على الخداع المتخفّي في وهم حقيقة ذهنيّة خالية من المشاعر تجاه اليرّ والصّلاح. كبار السنّ المليون بالحكمة وروح الفكاهة يصنعون خيراً كثيراً للشباب! إنّهم ينقذونهم من تجربة المعرفة الحزينة المجردة من حكمة الحياة. وهؤلاء كبار السنّ أيضاً يعيدون الشباب إلى وعد يسوع القائل: "طوبى للجّيع والعطاش إلى اليرّ، فإنّهم يشبعون" (متّى 5، 6).

قراءة من سفر الجامعة (2، 17-18؛ 12، 13-14)

فكرهتُ الحياة إذ قد ساءني العمل الذي يُعمل تحت الشّمس، لأنّه كلّ باطل وسعي وراء الرّبح. وكرهتُ كلّ ما عانيتُ تحت الشّمس من تعبٍ الذي سأتّركه للإنسان الذي يخلّفني. [...] خاتمة الكلام: كلّ شيءٍ مسموع. إتق الله واحفظ وصاياه فإنّ هذا هو الإنسان كلّهُ، لأنّ الله سيحضر كلّ عملٍ، فيدين كلّ خفيٍّ، خيراً كان أمّ شراً.

كلامُ الرّبِّ

Speaker:

تَكَلَّمَ قَدَاسَةُ الْبَابَا الْيَوْمَ عَلَى الشَّيْخُوخَةِ وَسِيفَرِ الْجَامِعَةِ، وَقَالَ: سِيفَرُ الْجَامِعَةِ يَحْتَوِي عَلَى بَعْضِ التَّعَابِيرِ، مِنْهَا: كُلُّ شَيْءٍ بَاطِلٌ، كُلُّ شَيْءٍ ضَابٌ وَدُخَانٌ وَفَرَاغٌ. وَهَذِهِ التَّعَابِيرُ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَّسِ تَحْمِلُنَا عَلَى الشُّكِّ فِي مَعْنَى الْوُجُودِ نَفْسِهِ. وَأَمَامَ هَذَا التَّقْلِبِ بَيْنَ الْمَعْنَى وَاللَّامَعْنَى، يُمْكِنُ أَنْ تَبْدُو لَنَا طَرِيقُ الْإِمْبَالَةِ عَلَى أَنَّهَا الْحَلُّ الْوَحِيدُ الْمُنَاسِبُ تَجَاهَ خِيبةِ أَمَلٍ تَشْمَلُ الْحَيَاةَ. وَلَا شُكَّ فِي أَنَّ الْإِقْدَاءَ مَعَ خِيبةِ الْأَمَلِ فِي الشَّيْخُوخَةِ أَمْرٌ لَا مَفْرَجَ مِنْهُ. وَقَدْ قَاوَمَ بَعْضُ كِبَارِ السِّنِّ خِيبةَ الْأَمَلِ هَذِهِ، فَحَافَظُوا عَلَى حَيْثُمُ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ، وَأَعْطَوْا بِذَلِكَ أَمَلًا لِبَقَاءِ الْمَحَبَّةِ وَالْإِيمَانِ فِي الْحَيَاةِ. حَاوَلِ الْبَحْثَ الْحَدِيثُ عَنِ الْحَقِيقَةِ أَنْ يَتَخَلَّى تَمَامًا عَنْ حُبِّ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ. وَالْمَعْرِفَةُ الْيَوْمَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ شَامِلَةً جَامِعَةً، لَكِنْ مِنْ دُونِ التَّزَامِ أَخْلَاقِيٍّ وَمِنْ دُونِ مَسْئُولِيَّةٍ. وَقَالَ قَدَاسَتُهُ: كَشَفَ سِيفَرُ الْجَامِعَةِ عَنْ هَذِهِ التَّجَرِبَةِ الْقَائِلَةَ لَوْهَمِ الْعِلْمِ الْمَطْلُوقِ الَّذِي يُؤَلِّدُ فِي النِّهَايَةِ عَجْزًا فِي الْإِرَادَةِ. إِنَّ الْفَرَاغَ مِنَ الْمَعْنَى وَالْقُوَّةِ الَّذِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ، الَّتِي تَرْفُضُ كُلَّ مَسْئُولِيَّةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ وَكُلَّ تَوَجُّهٍِ نَحْوَ الْخَيْرِ الْحَقِيقِيِّ، لَيْسَ أَمْرًا بَرِيئًا، إِنَّمَا يُجَرِّدُ الْإِنْسَانَ مِنْ قُوَّةِ الْإِرَادَةِ وَالتَّوَجُّهِِ نَحْوَ الْخَيْرِ، وَيَفْتَحُ الْبَابَ لِعُدْوَانِيَّةٍ قَوِيٍّ الشَّرِّ. تَقَدَّمَ الْعِلْمُ أَمْرٌ جَيِّدٌ، لَكِنْ رَفَضَهُ لِحِكْمَةِ الْحَيَاةِ هُوَ أَمْرٌ مُضِرٌّ، وَيُؤَدِّي إِلَى طَرِيقٍ مَسْدُودٍ. وَكِبَارُ السِّنِّ الْمَلِينُونَ بِالْحِكْمَةِ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَنْقِذُوا الشَّبَابَ مِنْ تَجَرِبَةِ الْمَعْرِفَةِ الْمُجَرَّدَةِ مِنْ حِكْمَةِ الْحَيَاةِ.

Santo Padre:

Saluto i fedeli di lingua araba. Gli anziani ricchi di saggezza e di umorismo fanno tanto bene ai giovani! Li salvano dalla tentazione di una conoscenza del mondo triste e priva di sapienza della vita. E li riportano alla promessa di Gesù: «Beati quelli che hanno fame e sete di giustizia, perché saranno saziati». Il Signore vi benedica tutti e vi protegga sempre da ogni male!

Speaker:

أَحِبِّي الْمُؤْمِنِينَ النَّاطِقِينَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. كِبَارُ السِّنِّ الْمَلِينُونَ بِالْحِكْمَةِ وَرُوحُ الْفُكَاةِ يَصْنَعُونَ خَيْرًا كَثِيرًا لِلشَّبَابِ! إِنَّهُمْ يَنْقِذُونَهُمْ مِنْ تَجَرِبَةِ مَعْرِفَةِ الْعَالَمِ الْحَزِينَةِ وَالْمُجَرَّدَةِ مِنْ حِكْمَةِ الْحَيَاةِ. وَيَعِيدُونَهُمْ إِلَى وَعْدِ يَسُوعَ الْقَائِلِ: "طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ، فَإِنَّهُمْ يُشْبَعُونَ". بَارِكْكُمْ الرَّبُّ جَمِيعًا وَحَمَاكُمْ دَائِمًا مِنْ كُلِّ شَرٍّ!
